

الأبعاد الاجتماعية لهجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل

عمر سعادة

هل تضع موجة الهجرة اليهودية الراهنة الأسس لصراع اجتماعي متعدّد المظهر بين المهاجرين الجدد، وبين المستوطنين اليهود الأقدم وجوداً في فلسطين المحتلة؟ وهل ان هذه الهجرة تشكّل بداية لتحوّلات بنيوية في المجتمع الاستيطاني اليهودي في فلسطين؟

لقد حملت موجة الهجرة اليهودية الجارية من الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل قرابة ٣٥٠ ألف مهاجر جديد، وذلك منذ بداية العام ١٩٨٩ وحتى نهاية أيلول (سبتمبر) ١٩٩١. ووفق معظم التوقّعات الاسرائيلية، فان ربع مليون مهاجر جديد سوف يصلون الى فلسطين المحتلة حتى نهاية العام ١٩٩٢^(١). ويذهب بعض التوقّعات الاكثر تفاؤلاً الى احتمال قدوم مليون مهاجر سوفياتي الى اسرائيل خلال الأعوام القليلة المقبلة^(٢).

ولا ريب في ان انتقال كتلة بشرية بهذا الحجم، وخلال حقبة زمنية قصيرة، الى دولة صغيرة بمقاييس الجغرافيا والسكان والامكانيات مثل اسرائيل، لا بدّ له من ان يترك تأثيراته العميقة في البنى الاجتماعية لاسرائيل؛ كما ان تفاعل الكتلتين البشريتين، القديمة المستقرة نسبياً والجديدة الطارئة، لا بدّ له كذلك من ان يؤثر في مسار التفاعلات الاقتصادية - الاجتماعية والثقافية لليهود في فلسطين المحتلة.

ومع الاقرار، مسبقاً، بأن بلورة استنتاجات مكتملة حول الأبعاد الاجتماعية لهجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل تتطلب المزيد من الوقت لمواكبة التحوّلات الاجتماعية التي تتحرك، عادة، بوتائر بطيئة للغاية، ألا ان رصد المؤشرات الآنية لتفاعلات التجمّع اليهودي الاسرائيلي مع موجة المهاجرين الجدد، يظل المدخل الأساس لفهم المسارات المتوقّعة لحراك التجمّع اليهودي في فلسطين المحتلة، والكيفيات المحتملة للتفاعل الاجتماعي بين المستوطنين اليهود القدامى، والمهاجرين الجدد من الاتحاد السوفياتي.

خصوصية الظاهرة

ان الميزة التي تمنحها هذه الهجرة الكثيفة للدارس تنبع من كونها تضمّ أعداداً كبيرة من المهاجرين القادمين من بلد واحد، وخلال فترة زمنية قصيرة. فالهجرات السابقة، خاصة بعد العام ١٩٥١، كانت تضمّ، سنوياً، أعداداً محدودة من المهاجرين القادمين من دول مختلفة، بحيث لم يكن حجم كل هجرة من تلك الهجرات كافياً لاحداث تحوّلات بنيوية ملموسة في تركيبة التجمّع اليهودي